١٨- عام الوفود

عام الوفود

عقب الهزيمة التي منيت بها الروم في شمال جزيرة العرب حيث فروا أمام جحافل الإسلام وقد مر النبي ﷺ بهذا الجيش الذي رجح بعضهم أن تِعداده كان ثلاثين ألفًا ولا طاقة للعرب في قتال جيش بمثل هذا العدد، وقد ظهر من شجاعتهم وجهادهم وجلادهم ما ظهر، وكانت الفئة القليلة منهم تهزم جيوش الكفر المتكاثرة، فأقبلت الوفود تترى في العام التاسع من الهجرة إلى مدينة النبي ﷺ، حتى سُمي هذا العام عام الوفود.

قال الدكتور أكرم العمري: وقد ساقت المصادر أخبار هذه الوفود دون أسانيد في الغالب، وأقدم من تكلم عنها بتفصيل ابن إسحاق، ولم يبين مصادر معلوماته وأسانيد مروياته إلا نادرًا، وهذه الروايات النادرة إنما هي مراسيل الزهري وعبدالله بن أبي بكر والحسن البصري. سوى خبر قدوم ضمام بن ثعلبة وافدًا فقد أسنده إلى ابن عباس وفيه محمد بن الوليد بن نويفع ولم يتابع فتضعف الرواية لأجله،والوفود التي ساق ابن إسحاق أخبارها هي: وفد تميم، ووفد بني عامر، ووفد بني سعد بن بكر، ووفد عبد القيس، ووفد بني حنيفة، ووفد طئ ووفد بني زبيد، ووفد كندة، ووفد ملوك حمير، ووفد بني الحارث بن كعب، ووفد همدان، ووفد عُدي بن حاتم، ووفد فروة بن مسيك المرادي، ووفد صرد بن عبدالله الأزدي، ووفد فروة بن عمرو الجذامي[1].وسوف تقتصر على ذكر الثابت من هذه الوفود، ولكن نشير إلى أن العام التاسع للهجرة هو عام ظهور الإسلام وانتصاره في شبه الجزيرة العربية، وذهاب شوكة الكافرين فيها، **فمن هذه الوفود:**

١- وفد عبد القيس:

عن أبي جمرة قال: كنت أقعد مع ابن عباس يجُلسني على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهمًا من مالي فأقمت معه شهرين ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة، الجهاد ضد المشركين (٢٤٩، ٢٥٠).

النبي ﷺ قال: «**من القوم أو من الوفد؟**» قالوا: ربيعة. قال: «**مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى**».

فقالوا: يا رسول الله، إنا لا ناتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع:

أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**».

ونهاهم عن أربع: «**عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت** وربما قال: المقير، وقال: **احفظوهن واخبروا بهن من وراءكم**» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ماملخصه:

- في هذه القصة أن الإيمان بالله وهو مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم كلهم.

- **وفيها**: أنه لم يعد الحج في هذه الخصال وكان قدومهم في سنة تسع وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد وإنما فرض في العاشرة.

- **وفيها**: أنه لا يكره أن يقال: رمضان للشهر خلافًا لمن كره ذلك وقال: لا يقال إلا شهر رمضان.

---

(١) رواه البخاري [١/ ١٥٧] الإيمان، ومسلم (١/ ١٨١، ١٨٣) الإيمان باب الإيمان بالله تعالى ورسوله.
والدباء: هو القرع: **والحنتم**: الجرار الخضر. **والنقير**: جذع النخلة ينقر وسطه ليتخذ منه وعاء. **والمزفت**: ما طُلي بالزفت أو القار وكان النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية ثابتًا لمظنة إسراع الإسكار إليها ثم نسخ ذلك وبقيت القاعدة العامة في تحريم كل مسكر، وما أسكر كثيرة فقليله حرام.

- **وفيها:** النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية وهلى تحريمه باقٍ أو منسوخ على قولين وهما روايتان عن أحمد، والأكثرون على نسخه بحديث بريدة، الذي رواه مسلم وقال فيه: «**كنت نهيتكم عن الأوعية فانتبذوا فيما بدا لكم ولا تشربوا مسكرًا**» ومن قال: بإحكام أحاديث النهي وأنها غير منسوخة قال: هي أحاديث تكاد تبلغ التواتر في تعددها وكثرة طرقها وحديث الإباحة فرد فلا يبلغ مقاومتها(١).

٢- قدوم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «**لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت، وهذا ثابت يجيبك عني**» ثم انصرف عنه(٢).

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك أرى الذي أريت فيه ما رأيت فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال:«**بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما فأوحى إليّ في المنام أن أنفخهما، فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي: أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة**»(٣).

قال الحافظ: ويُستفاد من هذه القصة أن الإمام يأتي بنفسه إلى من قدم يريد لقاءه من الكفار إذا تعين ذلك طريقًا لمصلحة المسلمين. وقوله:«**وهذا ثابت يجيبك عني**» أي لأنه كان خطيب الأنصار، وكان النبي ﷺ قد أعطى جوامع الكلم، فاكتفى

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦٠٧، ٦٠٨).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٦٩٠) «المغازي».

(٣) رواه البخاري (٧/ ٦٩٠، ٦٩١) المغازي.

بما قاله لمسيلمة وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم عنه في ذلك. ويؤخذ منه استعانة الإمام بأهل البلاغة في جواب أهل العناد ونحو ذلك[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في فقه القصة ما ملخصه: إن هذا الحديث من أكبر فضائل أبي بكر فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفخ السوارين بروحه فطارا، وكان الصديق هو ذلك الروح الذي نفخ مُسيلمة وأطاره، ومن ها هنا دل لباس الحلي للرجل على نكدٍ يلحقه وهم يناله، وأنبأني أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور المقدسي المعروف بالشهاب العابر قال: قال لي رجل: رأيت في رجلي خلخالًا فقلت له تتخلخل رجلك بألم وكان كذلك.

وقال لي آخر: رأيت كأني في أنفي حلقة ذهب وفيها حب مليح أحمر، يقع بك رعاف شديد فجري كذلك.

وقال آخر: رأيت كلابًا معلقًا في شفتي قلت: يقع بك ألم يحتاج إلى الفصد في شفتك[٢].

٣- قدوم وفد الأشعريين وأهل اليمن:

عن أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقدم قوم هم أَرق منك قلوبًا**» فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون:

غَـــدًا نَـلـقَـى الأَحـبـةَ مُحـمَـدًا وَحَـزبَـهُ

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة وأضعف قلوبًا، والإيمان يمان، والحكمة يمانية، والسكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر قبل مطلع الشمس**»[٣].

(١) باختصار من الفتح (٧/ ٦٩١، ٦٩٢).

(٢) باختصار من «زاد المعاد» (٣/ ٦١٣، ٦١٤). وانظر «تعجيل السقيا في تعبير الرؤيا» للعبد الفقير.

(٣) رواه البخاري (٧/ ٧٠١) «المغازي»، ومسلم (٢/ ٣١) «الإيمان».

قال أبو عمر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن فند أقوال المتأولين للحديث من أنه ﷺ أراد أهل مكة لأنها من جهة اليمن بالنسبة للمدينة، أو أراد أهل المدينة وقد كان بتبوك ﷺ ، والمدينة في جهة اليمن بالنسبة لتبوك.

ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمله على أهل اليمن حقيقة، أن من اتصف بشئ وقوي قيامه وتأكد إطلاعه منه ينسب ذلك الشئ إليه إشعارًا بتميزه به وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذٍ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياة رسول الله ﷺ وفي أعقاب موته كأويس القرني وأبي مسلم الخولاني رضي الله عنهما وشبههما ممن سلم قلبه وقوي إيمانه، فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعارًا بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا مُنافاة بينه وبين قوله ﷺ : «**الإيمان في أهل الحجاز**»، ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذٍ لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه، هذا هو الحق في ذلك ونشكر الله تعالى على هدايتنا له والله أعلم.

وأما ما ذكر من الفقه والحكمة. فالفقه هنا عبارة عن الفهم في الدين واصطلح بعد ذلك الفقهاء وأصحاب الأصول على تخصيص الفقه بإدراك الأحكام العملية بالاستدلال على أعيانها. وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوي و الباطل والحكيم من له ذلك.

وقال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظتك وزجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، ومنه قول النبي ﷺ : «**إن من الشعر حكمة**» وفي بعض الروايات حكمًا والله أعلم[1].

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٣٣) «الإيمان». والحديث رواه البخاري (١٠/ ٥٥٤) «الأدب» وأبو داود [٤٩٩٠] «الأدب».

وفي «صحيح البخاري» أن نفرًا من بني تميم جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أبشروا يا بني تميم**» فقالوا: بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله ﷺ، وجاء نفرٌ من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذا لم يقبلها بنو تميم، هذا الأمر، فقال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عَرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيءٍ**»[(١)].

٤- قدوم وفد بني سعد بن بكر على رسول الله ﷺ:

عن أنس بن مالك قال: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ: «**قَدْ أَجَبتُكَ**». فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: «**سلْ عمَّا بدا لك**» فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، والله آمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة قال: «**اللهم نعم**». قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتُقسمها على فُقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: «**اللهم نعم**». فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»[(٢)].

قال الحافظ: وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: العمل بخبر الواحد ولا يقدح فيه مجئ ضمام مستثبتًا، لأنه قصد اللقاء والمشافهة كما تقدم عن الحاكم، وقد رجع ضمام إلى قومه وحده فصدقوه وآمنوا كما وقع في حديث ابن عباس، وفيه نسبة الشخص إلى جده إذا كان أشهر من أبيه، ومنه قوله ﷺ يوم حُنين: «**أنا ابن عبد المطلب**». وفيه الاستحلاف على الأمر المحقق لزيادة التأكد، وفيه رواية الأقران لأن سعيدًا وشريكًا تابعيان من درجة واحدة وهما مدنيان[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣٣٠) «بدء الخلق».

(٢) رواه البخاري (١/ ١٧٩) «العلم»، ومسلم (١/ ١٦٩، ١٧٠) «الإيمان».

(٣) «فتح الباري» (١/ ١٨٤).

وقال النووي: وفي هذا الحديث: جمل من العلم غير ما تقدم، منها أن الصلوات الخمس متكررة في كل يوم وليلة وهو معنى قوله في يومنا وليلتنا، وأن صوم رمضان يجب في كل سنة قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: **وفيه:** دلالة لصحة ما ذهب إليه أئمة العلماء من أن العوام المقلدين مؤمنون وأنه يكتفي منهم بمجرد اعتقاد الحق جزمًا من غير شك وتزلزل خلافًا لمن أنكر ذلك من المعتزلة وذلك أنه ﷺ قرر ضمامًا على ما اعتمد عليه في تعرف رسالته وصِدقهِ ومجرد إخِباره إياه بذلك ولم ينكر عليه ذلك ولا قال: يجب عليك معرفة ذلك بالنظر في معجزاتي والاستدلال بالأدلة القطعية[1].

ورواه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «ثم انصرف راجعًا إلى بعيره فقال رسول الله ﷺ حين ولى: «**إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة**» وكان ضمام رجلًا جلدًا أشعر ذا غديرتين، ثم أتى بعيره فأطلق عِقاله حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به وهو يسب اللات والعزى، فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص والجذام والجنون قال:ويلكم إنهما والله ما يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولًا وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى ذلك اليوم من حاضرته ولا امرأة إلا مسلمًا». قال ابن عباس رضي الله عنهما : فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه[2].

٥- قدوم وفد مزينة:

عن النعمان بن مقرن قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل من مزينة فلما أردنا أن ننصرف قال: يا عمر زود القوم. فقال: ما عندي إلا شيءٍ من تمر ما

(١) شرح النووي عن صحيح مسلم (١/ ١٧١).

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٥٤، ٥٥) المغازي وصححه ووافقه الذهبي، وقال الدكتور أكرم العمري: وإنما هو حسن فقط لأنه من طريق ابن إسحاق، وفيه محمد بن الوليد بن نويفع الأسدي مقبول وقد توبع في رواية أبي داود من قبل سلمة بن كهيل وهو ثقة.

أظنه يقع من القوم موقعًا. قال: «**انطلق فزودهم**» قال: فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى علية فلما دخلنا إذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم، قال النعمان: فكنت في آخر من خرج فنظرت فما أفقد موضع تمرة مكانها[١].

٦- قدوم وفد نجران:

عن حذيفة قال: «جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبينًا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قال: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا. فقال: «**لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين**»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله ﷺ : «**هذا أمين هذه الأمة**»[٢].

قال الحافظ ما ملخصه: نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاث وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع.

وقوله: «**يريدان أن يلاعناه**» أي يباهلاه يشير إلى قوله تعالى:﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦١] الآية.

وفي قصة أهل نجران من الفوائد:

- إن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام.

- **وفيها:** جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته.

- **وفيها:** مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي ووقع ذلك لجماعة من العلماء ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٤٥) وقال محقق الزاد ورجاله ثقات وسنده حسن، وانظر ابن سعد (١/ ٢٩١).
(٢) رواه البخاري (٧/ ٦٩٥) «المغازي».

مبطلًا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين، وفيها مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال، ويجري ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم، فإن كلاً منهما مال يؤخذ من الكفار على وجه الصغار في كل عام.

وفيها: بعث الرجل الأمين إلى أهل الهُدنة في مصلحة الإسلام، **وفيها**: منقبة ظاهرة لأبي عبيدة بن الجراح[1].

(١) باختصار من «الفتح» (٧/ ٦٩٦، ٦٩٧).